

الصَّبْرُ فِي الْحَجِّ

(24 – ذو القعدة – 1438 هـ)

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فإن الصبر عبادة عظيمة (وما أعطي عبد عطاء خيراً ولا أفضل من الصبر) كما أخبر النبي ﷺ. وأهل هذه العبودية ثوابهم عند الله جزيل ﴿إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: 10]. وإذا كان المسلم في حاجة إلى الصبر في كلِّ أحواله وعليه أن يستعين به في تحقيق مرضات الله عز وجل كما قال سبحانه: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ [البقرة: 45] فإنَّ الحاجَّ أحوج إلى الصبر وأحوج.

الصبرُ في الحجِّ له شأن عظيم والحاج مطالب أن يتحلى به بكل أنواعه. والصبر ثلاثة أنواع: صبر عن معصية الله، وصبر على أقدار الله المؤلمة، وصبر على طاعة الله.

□ أما الصَّبْرُ عَنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ: فإذا كان المسلم مطالباً باجتنب المعاصي في كل حال

فالحاج مطالب بهذا من باب أولى. كيف تكون حاجاً يا عبد الله وأنت مواقع لما حرم الله؟

إذن عليك أن تكف نفسك وأن تحجزها عن معصية الله، تحجز نفسك عن معصية النظر ولا ترسل طرفك في رؤية ما حرم الله سبحانه وتعالى، بل عليك أن تصبر وتكف نفسك عن هواها حتى تفوز بالأجر العظيم في حجك.

واليوم مع الأسف الشديد تيسرت أسباب المعصية في الحج أقول هذا مع بالغ الأسف فإنه مع توفر هذه الأجهزة الحديثة التي لا يكاد أن يخلو منها إنسان أصبحت المعصية قريبة جدا من الإنسان إلا من عصم الله حتى إنه قد يرى بعض الناس في صعيد عرفات في ذلك اليوم العظيم وذلك المشهد الكبير الذي كل لحظة وثانية فيه ثمنها غال جدا ربما رأيت بعض الناس يأخذ جهازه ويتصفح وربما يتابع فيلما أو مسلسلا وربما يستمع إلى أغنية في عرفات وفي يوم عرفة أو ربما على هذا في ليلة مزدلفة أو ربما يفعل هذا في أثناء أيام التشريق في منى.

فالله الله بالصبر عن معصية الله! إذا كنت عاجزا عجز تفريط عن أن تكف نفسك عن معصية الله في غير الحج فإنّ عليك أن تجاهد وتصابر أثناءه.

□ الأمر الثاني: الصبر على أقدار الله المؤلمة: الحج - يا رعاك الله - جهاد في سبيل الله

والنبي ﷺ أخبر عائشة رضي الله عنها بقوله: (عليكنّ جهاداً لا شوكَةَ فيه: الحج). فالحج لا شك أنه جهاد ويحتاج إلى قدر كبير من الصبر. ليس الطريق إلى الحج وأداء مناسكه شيئا مفروشا بالورد غالبا، بل ربما ينال الإنسان ما يناله من شيء من الضيق أو التعب، يجد حرّاً، يجد زحاما، يجد مدافعة، يجد تقصيرا أحيانا في الخدمات المقدمة له في مخيم استأجر فيه أو

سيارة استأجرها أو ما شاكل ذلك. ها هنا ينبغي على الحاج أن يتمثل ويتحلى بالصبر فيصبر على أقدار الله المؤلمة فيكف قلبه عن الجزع ولسانه عن التشكي وجوارحه عما حرم الله عز وجل. اصبر واحتسب واعلم أنّ الحج كله يحتاج إلى صبر ساعة، الحج كله خمسة أيام أو ستة وبعد ذلك سوف تنعم براحة وبهناء وطمأنينة في المكان الذي تريد إنما هي سويعات اصبر وإياك أن تضع أجرك فتدخل في مشاحنات وتدخل في مساببات وتدخل في أنواع من الغيبة مع الأسف الشديد بسبب ما يرد على الإنسان مما يضايقه. الله الله بالسكون والطمأنينة وحبس النفس عما حرم الله عز وجل والصبر على ما قدر!

□ النوع الثالث: الصبر على طاعة الله: وهذا أرفع مقامات الصبر وأنواعه أن تصبر على أن تؤدي العبادة على الوجه الذي يحبه الله سبحانه وتعالى. وهذا ما أكثر التفريط فيه فإن كثيرا من الناس العبادة أشبه ما تكون بهم على ظهره يريد أن يتخلص منه وما هكذا يكون العابد حقاً، وما هكذا يكون الحاج صدقا.

فالله الله يا إخوتاه بالصبر والتأني وترك العجلة! العجلة ها هنا والله مذمومة. تأن يا عبد الله ما الذي وراءك؟ بعض الناس إذا جاء إلى الطواف ببيت الله تجده عجلا حريصا على أن ينتهي بأقصر وقت كأننا في مسابقة كأنه يريد أن يفخر بأنه قد انتهى من طوافه في نصف ساعة أو نحوها ويفرح بهذا لكن ماذا فعلت أثناء الطواف هل كنت مخبئا؟ هل كنت خاشعا؟ هل كنت مستحضرا المقام الذي أنت فيه؟ هذا بيت الله أضافه الله إلى نفسه تشريفا وضعه الله لعبادته حتى يعبد فيه حتى يعبد عنده. ولذا هذه الخطوات التي تخطوها وهذه البقعة التي

تضع قدمك عليها سبقك إليها آلاف من الأنبياء والمرسلين والصالحين استحضر هذا يا عبد الله مقام عظيم يحتاج فيه أن تكون متبدا مطمئنا خاشعا. ابن عمر رضي الله عنهما لما خطب عروة بن الزبير إليه في ابنته سودة رضي الله عنهما أجمعين أبى أن يكلمه في ذلك ثم بعد أن انتهى من طوافه قال: "جئت تخطب إليّ ونحن في الطواف نتخايل الله بين أعيننا".

انظروا يا إخوانه حال السلف أثناء الطواف، اقرأ في أحوالهم تجد شأنا عجبا تجد البكاء، تجد الخشوع، تجد استحضار هذا المقام العظيم.

فالله الله يا إخواني بالصبر على أداء العبادة على وجهها وعلى إعطائها حقها! كذلك الشأن في الصفا والمروة بعض الناس سريع عجل يريد أن ينتهي وماذا بعد ذلك؟ أنت جئت من بلدك قطعت المسافات دفعت المال الكثير تركت الأهل والأحباب والأولاد وجئت إلى هذا المكان لتؤدي عبادة الله. لم العجلة؟ ما الذي وراءك؟ تجده يسرع إذا وصل إلى الصفا ينزل بسرعة يريد أن ينتهي من هذا السعي. اصبر قف وهلل وادع كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم أذ العبادة على الوجه المطلوب ومثل هذا على المروة. وقل مثل هذا في عرفات في مزدلفة.

رأينا بعض الناس -يا إخوانه- يصيبه الملل والضجر في نهار عرفات وهو ساعات قليلة تجد أنه يدفع من عرفات قبل غروب الشمس. ما الذي وراءك؟ لماذا تعصي النبي صلى الله عليه وسلم وهو الذي قال: (خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ)، وما دفع النبي صلى الله عليه وسلم إلا بعد غروب الشمس. لِمَ العجلة؟ ومثل هذا في مزدلفة ليس من أهل العذار وليس عنده سبب يقتضيه التعجيل لم لا تبقى كما

بقي النبي ﷺ فتدفع كما دفع بعد صلاة الفجر تذكر الله وتدعوه حتى يسفر؟ لِمَ لا تعطي العبادة حقها؟ وقل مثل هذا عند رمي الجمار بعض الناس يأتي يدافع ويضرب هذا ويخاصم هذا ويرمي الجمار كيفما اتفق دون أن يؤدي العبادة على وجهها لا يكبر مع كل حصة بتؤدة لا يقف بعد الجمار في الجمرة الصغرى والوسطى فيدعو الله سبحانه وتعالى. كَلَّا إنها العجلة الممقوتة.

إذن -يا إخوتاه- الله الله بالصبر والتأني وإعطاء الحج حقه بأن تؤدي العبادة وفق سنة النبي ﷺ! شَتَّانَ -يا رعاك الله- بين حجَّين:

✽ حجُّ يفعله كيفما اتفق وبالحد الأدنى كما يقولون باللسان المعاصر يأخذ الحد المطلوب على حذافيره هذا واجب ولا مسنون إذا قيل له مسنون لا حاجة إليه. إذا قيل واجب يقول الشكوى إلى الله سأفعله.

✽ وهناك حجٌّ آخر حجٌّ يتابع فيه الحاج سنة رسول الله ﷺ ينادي فيقول أين سنة النبي ﷺ ها هنا حتى أتبعها، أريد أن أحج كما حج محمد ﷺ.

أترى يا عبد الله أنَّ الحجَّين في الميزان سواء؟ لا والله شَتَّانَ بين هذا وهذا.

إذن الله الله -يا إخوتاه- بأن تضع بين عينيك هذه الكلمة في كل خطوة منذ أن تلبي فتقول لبيك اللهم لبيك وإلى أن تنتهي من أعمال الحج ضع هذه الكلمة وهي كلمة قصيرة مكونة من ثلاثة حروف لكن ثوابها عند الله عظيم: كلمة الصبر.

والصبر مثل اسمه مر مذاقته *** لكن عواقبه أحلى من العسل

أَسْأَلُ اللَّهَ عِزَّ وَجَلَّ لِي وَلَكُمْ التَّوْفِيقَ وَالسَّدَادَ وَالْهُدَايَةَ وَالرَّشَادَ وَأَنْ يَعِينَنَا عَلَى ذِكْرِهِ
وَشُكْرِهِ وَحَسَنَ عِبَادَتِهِ كَمَا أَسْأَلُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ يَقْبَلَ مِنَّا طَاعَاتِنَا وَأَنْ يَتَجَاوَزَ عَنْ تَقْصِيرِنَا
بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ إِنَّهُ بِذَلِكَ جَدِيرٌ.

وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.